

تسبيح الجمال في صنعة الرحمن

بقلم و. منال أبو العزائم





تحسين الجمال في صنعة الرحمن

بقلم

د. منال أبو العروم



المحتويات

- 6 أهمية الجمال في الإسلام
- 7 تحسس الجمال في السماء
- 7 تحسس الجمال في الفضاء
- 8 تحسس الجمال في الشمس
- 8 تحسس الجمال في الطيور
- 9 تحسس الجمال في السحب والأمطار
- 10..... تحسس الجمال في الأرض
- 11..... تحسس الجمال في الورود
- 11..... تحسس الجمال في الأشجار
- 12..... تحسس الجمال في الجبال
- 12..... تحسس الجمال في الشلالات
- 13..... تحسس الجمال في الأمواج
- 13..... تحسس الجمال في الأنهار

- 14.....تحسس الجمال في الحيوانات
- 15.....تحسس الجمال في الإنسان
- 15.....تحسس الجمال في القرآن
- 16.....خاتمة
- 17.....المراجع والمصادر



أهمية الجمال في الإسلام

لقد خلق الله تعالى الأرض والسماء وخلق فيهما من الجمال ما يعجز الإنسان عن إحصائه وما يعجز اللسان عن وصفه. وقد أودع الله أسراره في الطبيعة بحيث تخرج بأجمل صورة وأبهاها. وهذا الجمال الخلاب دليل على وجوده سبحانه وتعالى وعلى قدرته المتناهية على الخلق والإبداع. ولم يخلق المولى سبحانه وتعالى هذا الجمال إعتباطاً، بل خلقه بهدف وعن وقصد وغاية. ألا وهي حتى يتأمل فيه الناس ويرون قدرته المتناهية في خلقه. وقد أمرنا بالنظر إلى ملكوته حتى نحصل هذا الإيمان. قال تعالى: (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ)¹. فهلم بنا نستجيب لكلام ربنا ونحاول معاً التأمل في خلق الله ونتحسس الجمال فيه. فذلك يبهر الإنسان ويجعله يسلم لله، كما أنه يدخل البهجة والسعادة في قلوب الناس.

¹ الأعراف 186.

تحسس الجمال في السماء

وفي الطبيعة الخلابة من الجمال ما لا يحصى ولا يعد. فهي هي السماء الصافية تسحر الأرض ومن عليها بلونها الأزرق السماوي الذي يكسوها جمالاً وبهاء طلعة؛ تعيد بها الإبتسامة للكأبي وتمسح دموع الحزاني والمظلومين. فهي هي تعطيهم الأمل بأن ما فوقها ملئ بالبشر والرحمة والخير ... وأن خالقها موجود وأنه يسمع ويرى وأنه سينصفنا ويغنيننا ويرزقنا ويعطينا. قال تعالى: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)².

تحسس الجمال في الفضاء

والمجرات الكونية تدور في افلاكها بانتظام دون قائد ولا مدير. وتتخللها النجوم اللامعة منتظمة في أبراجها ذات الأشكال الهندسية الرائعة وكأنها الدر المنثور تزين عنق الكون بجمالها. وفي منتصفها يتربع

² الذاريات 22.

القمر المنير وكأنه سيد النجوم وراعيها. قال تعالى: (وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)³.

تحسس الجمال في الشمس

وتشرق عليها كل صباح أشعة الشمس الساطعة فتلون الكون بأنوارها وتملاً بسحرها الآفاق. وكأنها تنفض الغبار الذي خلفه الليل من على أحشاء الطبيعة ... فتعود جميلة نشطة ونظيفة تملأ بعطر نفحاتها الكون. وكأنها الأم للأرض ومن عليها، أتت بحنانها لترعى صغارها وتذهب عنهم الأذى. قال تعالى: (وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا)⁴.

تحسس الجمال في الطيور

وحلقت فوق السماء أسراب الطيور مصطفة وكأنها عقد رصين. تمسكها قدرة الله في السماء فلا تقع ولا يحتل توازنها. وتدور

³ يس 59.

⁴ نوح 16.

وتنحني وتتباهي بصفوفها الإستعراضية وكأنها تدرت عليها لشهور
وسنين ... ولكنها لم تفعل ... فهي فطرة الله التي فطرها عليها، فلا
تحتاج معها لتدريب ولا تحضير. قال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ
صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ)⁵.

تحسس الجمال في السحب والأمطار

وفي أرجاء السماء تتناثر قطع السحاب الأبيض وآخر رمادي
وبينهما درجات من الألوان المتداخلة، وتخرج من بين ترهاها أسواط
من أشعة الشمس، وتتبعثر بين طياتها لآلئ ضوئية، وكل هذا ينسجم
مع بعضه ليرسم لوحة فنية جميلة. ثم تهب الرياح فتدفعها وتسوقها
كقطع هين مطيع لها، وترسيها في بلد كتب الله له الرحمة. فتتساقط
الأمطار بعد يوم حار بقطرات الرحمة للخليقة، فترجع الأرض مخضرة
وتعيد لها نضارتها وبريقها وتسقى الحيوانات والنباتات العطشى ماءها
العذب ... فتعود للحياة وفرحتها ويرقص الكون احتفالا بقدمها

⁵ الملك 119.

وفرحا بما جلبته لهم من خير ريحا. قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ
بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ
فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ)⁶.

تحسس الجمال في الأرض

وتصبح الأرض بعدها مخضرة يانعة. كستها الحشائش ثوباً
قشيب وزينتها الأزهار الملونة بألوان الطيف وأضفت عليها لمسات
الفنان الأخيرة التي يضيفها للوحته بعد الإنتهاء منها، فتضاعف من
جمالها وتبرز محاسنها.

⁶ الأعراف 57.

تحسس الجمال في الورد

والورد تفتتح بألوانها الجميلة وروائحها العطرة وأوراقها الملونة.
إن تحسستها بأناملك شعرت وكأنك تلمس ثوب محملي ناعم...
فيأخذك سحرها إلى عالم آخر وكأنها نزلت من السماء.

تحسس الجمال في الأشجار

والأشجار تتباهى بقوامها الرفيع، وأوراقها الخضراء ذات
التصاميم الرائعة. وبعضها يلتف حول بعض وكأنها تعانق الطبيعة بحبها
وحنانها وتملاً الكون خيراً بثمارها ذات الألوان الزاهية والمذاق الحلوة.
قال تعالى: (أَنْتَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا
فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا *
مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)⁷.

⁷ عبس 25-32.

تحسس الجمال في الجبال

وترى الجبال شامخة بقممها العالية تكمل اللوحة الجميلة باختلاف ألوانها وتباين أحجامها وأطولها وصخورها. وأحيانا يغطي الجليد قممها وكأنه ثوب أبيض زاهي كثوب العروس فيشعر من يراه بالأفراح الملاح. وهي تسير بهدوء وهيبة ووقار كسير السحاب. وكأنها تلهم البشرية أن بعلو الهمة ومواصلة السير تكتسب المعالي. قال تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)⁸.

تحسس الجمال في الشلالات

وتنبثق منها الشلالات التي تنهمر منها أعذب المياه في لوحة فنية طبيعية خلابة تحطف القلوب والأنظار بألوانها الفضية وخطوطها المنسدلة المتناسقة. تراها قد حفرت طريقها بين الجبال، مبرهنة على

⁸ النمل 88.

قوتها وصمودها، وملهمة للبشرية أن العزم والإصرار هو طريق النجاح والوصول.

تحسس الجمال في الأمواج

والأمواج تتلاطم على ضفاف السواحل والمحيطات وقد شببها الله تعالى بالجبال لأشكالها الهرمية المدببة. ومن يتأملها يجدها تقوم بحركات بهلوانية سريعة وذكية، يصعب على الإنسان حتى إحصاءها وتداركها. ثم بعد تلك الهندسة الحركية لا تزال تحافظ على جمالها ورقتها. قال تعالى: (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ)⁹.

تحسس الجمال في الأنهار

والأنهار تنهمر بمائها العذب الذي تنشر به من خير الله على الإنسان والحيوان. يصاحبها خرير المياه الذي يرخي الأعصاب ويجعل السامع وكأنه في عالم آخر ملىء بالسلام والإسترخاء والطمأنينة. وتوجد

⁹ هود 42.

بالأسماك الشهية والحيوانات المائية المتنوعة. وتهدينا محارها اللؤلؤ المكنون
من بطونها المتسخة. فسبحان من يخرج الجميل من القبيح والحي من
الميت ... وسبحان من أودع الأسرار في الأنهار لتتحفنا بكنوزها
وجمالها.

تحسس الجمال في الحيوانات

والحيوانات تنافس بعضها البعض في الجمال وإتساق الألوان
وإبداع الخلق. ففي الطيور ترى الببغاوات الملونة والطاووس بكبرياته
يجر ذيله، والغزلان برقتها وخفتها، والفراشات بألوانها الزاهية تنتقل بين
الأزهار لتمتص الرحيق، والنمور بألوان جلودها الخلابة والأسود بهيبتها
وشراستها، والزرافات بأعناقها الطويلة الشاحخة وثيابها الملونة المرقعة.
والقطط برقتها وجمالها تأسر القلوب، والأسماك المونة بأسرابها الذكية،
وغيرها الكثير.

تحسس الجمال في الإنسان

وأجمل ما خلق الله من مخلوقات على الأرض هو الإنسان. ذلك المخلوق الذي يدهش المتأمل بكل ما فيه. فهو آية في الجمال والتصوير... تريك قدرة الصانع وإبداعه وحسن تدبيره. ومحياه أجمل ما فيه... تزيينه المقلتان والأنف والفم، وغطى رأسه بشعر كثيف، كأنه تاج من اللؤلؤ والمرجان يزيده تميزاً وجمالاً. ومحيا الصغار آية في البراءة والإبداع، وكذا ترى الوسامة والجمال في وجوه النساء والرجال والولدان. وقد أمد كل منهم بجسم متناسق الأعضاء في أحسن تقويم وأبداعه، يعمل بانتظام كمصنع متكامل يقوم بكل شيء دون أن يزعم صاحبه أو يطلب عونه. قال تعالى: (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفْلا تُبْصِرُونَ)¹⁰.

تحسس الجمال في القرآن

ولا ننسى تحسس الجمال في آيات القرآن. فالمستمع لآياته يلتمس فيها توازنها وتناسقها وجميل أوزانها وأصواتها ومعانيها. فجمالها

¹⁰ الذاريات 21.

آية بينة تثبت إعجاز القرآن وأنه منزل من عند الله تعالى. ولنسمع قول الوليد بن المغيرة عنه كأكبر شهادة له، في قوله: "أن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشر"¹¹.

خاتمة

ومظاهر الجمال في هذا الكون لا يمكن حصرها. وهي علامة على قدرة الله الفائقة وحسن صنعته وحبه للجمال والإبداع. قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله جميل يحب الجمال)¹². والله يحبنا أن نرى هذا الجمال ونستشعره. لأنه آية على قدرته ومجلمة لتقوية الإيمان به والتسليم له. فهذا خلق الله الذي أتقن كل شيء صنعا، فتبارك الله أحسن الخالقين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

¹¹ تفسير القرطبي، المذثر، 18.

¹² رواه مسلم (91).

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي.
- صحيح مسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.



تم بحمد الله، إن أصبت فيفضل الله وكرمه
وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريتان
كتبته د. منال أبو العزائم



